

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

آمال بحفها الرهملى باش

إن قراء الرسالة عرفوا ما انتهت إليه قضية المدرسين بالمدارس الحرة، فقد نشرت ا- رائد اليومية خلاصة الخطاب التي ألقاها رفعة النحاس باشا ومه- الهلالى باشا وسعادة الدكتور طه بك حسين، ونقل الذليع في الخطاب إلى جميع الأسماع وأقول إن الذى يجب تدجيله هو تحقيق آمال المدرسين بالمدارس الحرة بعد أن كان تحقيقها من رابع المستحيالات، فهذا الوزير نفسه كان يستصعب حل هذه القضية، بدليل أنه لم يحلها في الوزارة الماضية، ولو لم يوفقه الله في هذه المرة لظلت تلك القضية عقدة الدُعد ومشكلة المشكلات إلى آخر الزمان كان الأمل الذى أطمح إليه هو تعيين المدرسين بالمدارس

ثم ينتقل من هذا إلى الدولة وتطوراتها وعمرها واتساع نطاقها، ثم ما قرره ابن خلدون عن الحروب وأصلها والجيوش وصراتها ودواعي الانتصار أو الهزيمة وما يتصل بالدفاع عن الدولة... على أن أبدع فصول هذا الجزء - ولعل ذلك في رأي - هي هذه التي تناول فيها الأستاذ المؤلف شرح آراء ابن خلدون وتحليله للنفس الإنسانية - وهو ما أؤكد للأستاذ أنه متأثر فيه أيضاً بآراء إخوان الصفاء - ثم هذه اللحات الفريدة عن التربية والتعليم فيما يرى ابن خلدون وما جمعه الأستاذ المؤلف من المعلومات الطريقة عن أحوال التعليم في عصره، وما كان من حرية التعليم والتدريس وأنواع المساجد، وعدم إشراف الحكومة الرسمي على التعليم إلا في حدود « الحسبة » التي وصفها ابن خلدون بأنها « وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » وأن من اختصاصها موظفي الحسبة « الضرب على أيدي المعلمين في السكائب وغيرها، في الإبلاغ في ضربهم للصبيان المعلمين ! »... وأن مهنة التعليم في عهد ابن خلدون كانت منهن المستضعفين ؟ ! (ولا حول ولا قوة إلا بالله يا إخواني المدرسين ! » ، ومذاهب كل من الأقطار الإسلامية

الأجنبية على وظائف تذكارية، كالذى تصنع في معاملة المدرسين الذين نرساهم إلى الأقطار العربية، وقد كتبت في تركية هذا الاقتراح عدة تقارير، منها تقرير نشرته مجلة الرسالة منذ سنين بامضاء مجهول

كان اقتراحى يبدو وكأنه طيف الخيال، ولم أكن أصدق أنه سيتحقق، ثم كانت المعجزة الطريفة، وهي جعل المدرسين جميعاً في منزلة واحدة، بلا تفرقة بين المدارس الحرة والمدارس وأعترف بأنى أكاد أكذب ما قرأت وما سمعت، فهل من الحق أن وزارة المعارف رضيت وهي طائفة مختاره أن يجعل مدرسى المدارس الحرة في منزلة مدرسى المدارس الأميرية ؟ أنا لا أصدق، فاللوف أن تجود الحكومة بالخير بعد أن تُدعى إليه ألوف المرات، ومدرسو المدارس الحرة لم يطلبوا يوماً مساواتهم بمدرسى المدارس الأميرية في جميع الحقوق، وإنما طلبوا حقوقاً مهيئة لا تزجج وزارة المعارف، وهل طلبوا غير الترفق في تحديد المرتبات، وكانت من الضلالة بمكان ؟ لأول مرة في تاريخ الحكومة المصرية يُبذل الخير لمن لم

في تعليم الولدان ... إلى آخر ما لا يتسع المجال لذكره هنا مع طرافته وإماتاه ...

وبعد ... فلا بد من كلمة عن عدم العناية بمراجعة الكتاب أثناء الطبع. ذلك الأمر الذى أذاع في جوانبه الخطأ الطبى، ولم يسلمه من وقوع بعض التعبيرات التي انزلت إلى انحرافات نحوية كان من الممكن تجنبها لأنها تعد من الهنات، بل من الكبائر، التي لا يصح وقوعها من كبار مؤلفينا، وزعماء مفكرينا ... ولست أرى داعياً إلى ذكر شيء من هذه الانحرافات، رجاء أن تقتضى الحرب قريباً فيطبع الكتاب طبعة أنيقة تليق بما يحمل من مادة خصبة وعلم غزير ... هذا ... وقد ابتدع الأستاذ المؤلف اشتغافات، ونحت نَسَباً. لا ترى ضيراً في إقرارها، وإن ثقلت في السمع أول الأمر، وذلك كمضواني ونفساني، والنظرة الحياتية - أى البيولوجية، والفلسفة الاجتماعية، ومرفجة المجتمع Morphologie والسير العقلاني Rationaliste ... الخ ... إن لم يضع مجملنا اللغوى كلمات أجود منها لمرادقاتها الأفريقية.

ومضى ضحية

يطلبوه ، وهذه أريحية جديدة لم نعرف لها مثيلاً فيما سلف من اليهود

الهلالى باشا يقول إن النحاس باشا هو صاحب الفكرة ، والنحاس باشا يقول إن الهلالى هو صاحب الفكرة ، والنتيجة معروفة ، وهى أن هذين الرجلين يتسابقان إلى الخير تسابق الجياد ، أعزهما الله وكتب لها دوام التوفيق

حكومة تنار لمرمرة

قال الهلالى باشا فى خطبته إن الأمة كانت أسبق من الحكومة إلى نشر التعليم ، وتحدث عما صنع مصطفى كامل وسعد زغلول ، ولم يفته النص على جهود الجمعيات الخيرية وجهود الأفراد ، وهذه الالتفاتة هى أجل ما ورد فى خطبة الهلالى باشا ، لأنها صورت هذه الوزارة بصورة الحكومة التى تنار للأمة ، وهذا معنى جديد ، فقد كانت الحكومة تنظر إلى الأمة بمنظار يعف قلبى عن وصف مرآة الجليل !

تاريخ الجامعة المصرية

تحدث الهلالى باشا عن الجامعة المصرية الأولى ، الجامعة التى أنشأتها الأمة ، وقال إن حكومة ذلك العهد كانت تحارب الجامعة بحجة أن مصر لا تحتاج إلى جامعات وإنما تحتاج إلى كتاتيب !

فهل يذكر الهلالى باشا قيمة الإعانة التى كانت تقدمها وزارة المعارف إلى الجامعة المصرية بألفين اثنين من الجنيهات ، ومع هذا كانت تماطل فى الدفع ، والشواهد تحت يدي ، وسأقدمها إلى معالى الوزير إن أراد

لا موجب للتذكير بهذا التاريخ ، فما تمثله إلا توجعت مما كانت تصنع الحكومة فى مغايضة الأمة ... على تلك اليهود ألف عفاء !

زكى مبارك وإعجاز القرآنه

هذا عنوان الكلمة التى نشرها الأستاذ محمد أحمد النمرائى بمجلة الرسالة ، وهى كلمة مؤذية سبقها كلمات مؤذيات بقلم هذا الكاتب الفضال

هذا الكاتب يتحدثانى لأشرح ما غاب عليه من أسرار

كتاب « النثر الفنى » ، وهو يرجو أن يجد فرصة جديدة تؤيد غرامه بأنهاى فى إسلامى

وأقول مرة ثانية إنى لا أقيم لتحديه أى ميزان ، ولن أعترف بأن من حقه أن يساجل صاحب النثر الفنى ، فقد ظهر أنه لم يفهم كتابى

قال هذا الكاتب إنه لا يبنى إلا أن يعرفنى الناس فيحذرونى ؛ وهذا القول مسروق من كلامى ، فقد نهت الناس ألف مرة إلى أن يحذرونى ، لأننى لا أبالي فى الحق أى ملام ، ولا ألتفت إلى أوهام المترمين

ثم دعانى هذا الكاتب إلى التبرؤ من كتاب النثر الفنى لبك ثم لبك ، يا كاتباً يدعو إلى تبرؤ الآباء من نجباء الأبناء

كتاب النثر الفنى كتابى ، وقد استكثره ناس على فزعوا أنه من وحى الجن ، وليس بينى وبين الجنة نسب حتى أستوحى ما عندهم من آراء وأهواء ، فهو كتابى ، وقد سطرته بيمينى فى فورة شبابى ، ولن أتبرأ منه ولو صرت معه إلى جهنم الحامية ، فساكون به أشرف مذنب يصطلى نار السعير ، وفى جهنم مكان لأحرار الرجال

الجنة لا تستهوينى ، لأن الحياة فيها تخلو من المتاعب ، وأنا أكره الحياة الحالية من المتاعب

مضيت مرة للبحث عن مكان هادى فى إحدى ضواحي باريس فوجدت بيتاً كتبت على بابه هاتان الكلمتان : tranquillité absolue فانزعجت ، لأنى أعرف أن الهدوء المطلق لا يكون إلا فى مساكن الأموات

وفى بغداد اخترت داراً يجاورها مصنع حديد ، لأفر من الهدوء المطلق

وبنيت دارى بمصر الجديدة فى مكان يجاور ضجيج الحياة ، ولأسمع اشتجار الممانى فى صدر الوجود

ماذا يقع إن كان مصرى إلى جهنم ؟ تلك فرصة ثمينة أنذكر بها ذنوبى ، وأعرف أن لى وزناً عند فاطر الأرض والسماء ، وهل تكون جهنم تقمة وهى مكان التطهير من الذنوب ؟

ليس الدين هو الباعث على محاربتك ، إياي ، فهناك باء آخر هو غرامك بأن يقرن اسمك باسم الدكتور زكي مبارك أنامفطور على التسامح ، ولكني لن أسامحك ، وسأدعو الله أن يغضب عليك ، إلا أن تتوب ، ولن تكون من التائبين عند الله جزائي ، فقد أكون أول مؤمن يعلن الكفر ليصحح عقيدة الإيمان ... الله للمجاهدين ، فلا تصدقوا من يزعمون أن الله للناقين

الفتنة نائمة

لقيني الأستاذ إميل بك زيدان في مكتبة المعارف فقال : « الفتنة نائمة » فابتسمت وقلت : « ولعن الله من أيقظها ! » ... فهل فهم جوابي ؟

إنه يشير إلى مقالاتي في مصاولة بعض أدباء لبنان ، وأنا لم أكتب حرفاً واحداً في إيذاء الأدباء اللبنانيين ، وإنما يتجنى فزيق منهم علينا من يوم إلى يوم ، ويقعون في أخطاء تنكرها الأذواق ، فهل تار الأستاذ إميل زيدان على تلك الأخطاء ، وهو يعرف أن إخوانه هنالك هم الموقظون للفتنة والداعون إلى التفريق ؟

لقد تعبت في معاتبة أولئك الرفاق ، فما استمع مستمع ولا أجاب مجيب ، فهل نلام على تذكيرهم بالواجب ؟ وهل يكون من إيقاظ الفتنة أن نصحح تاريخ الأدب الحديث بعد أن طغى عليه التحريف ؟

سأقول وأقول إن مصر هي باعثة الأدب العربي بعد أن طال عهده بالمجود ، وسأذكر بالتفصيل ما أخذه الأدباء اللبنانيون عن الأدباء المصريين

نحن خلفاء العرب ، والمصحف لا يطبع إلا في بلادنا ، وسنرفع راية العروبة في جميع الميادين

من هؤلاء ؟

جاءت مجلة الأدب البيروتية وفيها اتهام صريح بالدعوة إلى التفريق ، اتهام موجه إلى « عصبة » تدعو إلى عزل لبنان

عن الأمة العربية ، وهي نفسها العصبة التي نتجنى على الأدباء المصريين من حين إلى حين

ولو كنت أعرف أن هذا هو رأي اللبنانيين في تلك العصبة لكففت قلبي عما جرى فوق صفحات جريدة المصري ولهذا أعتذر لحضرة الأستاذ سهيل إدريس وأتأق عتابه المنشور في مجلة الرسالة بأحسن القبول

الآن عرفت أن التجنى على مصر لم يكن نزعة لبنانية ، وإنما هو نزوة تطوف برءوس حرمها الله نعمة العقل ، وكتب عليها الخذلان

محرر فمهم

اشتركت في الحفلة التي تقام لتكريم الربى الكبير الأستاذ محمد بك فهم ، ولكني لم أستطع الوصول إلى مكان الاحتفال بسبب الزحام ، فلم يبق إلا أن أحييه بهذه الكلمات إن لهذا الرجل تأثيراً في حياتي الأدبية ، فهو الذي قهرني قهراً على السفر لخدمة العلم في العراق ، وكانت حجته أن وزارة المعارف العراقية طلبتني باسمي ، وأنه لا يجوز أن أرفض هذا التشريف ، وبهذا قضيت في بغداد عاماً هو أجل أعوام حياتي

وللأستاذ محمد بك فهم خصائص يجعلها أكثر الناس ، فهو على تحضره وغناه لا يزال يقيم في دار أبيه بجوار جامع شيخون ، وهو يتصل بالريف كل أسبوع ، بحيث يجوز أن أنعمه من أعيان الفلاحين

أما أدب النفس فخصيصة أساسية يمتاز بها هذا الرجل المذهب إلى أبعد حدود التهذيب

ولعل هذه الحفلة تردّه بحرارته إلى فورة العافية ، فقد سمعت أنه كان مريض بضمة أسابيع

محمد فهم أحد رجالنا الأماجد ، وأنا أشارك في تكريمه بهذه السطور ، وهي أقل ما يجب لمن يجعل يمثل أدبه النفيس في مبارك